

مجمع الأمثال

2030 - أشأم من خو تعة .

وهو أحد بني عُفَيْلَةَ بن قاسط بن هذيل بن أفضى بن دُعْمَى بن جَدَيْلَةَ .
ومن حديثه أنه دلَّ كُثَيْفَ بن عمرو التَّغْلَابِي [وأصحابه] على بني الزَّيَّان
الذُّهْلِي لَتِرَةَ (الترة - بوزن عدة وصفة - الثأر وأصل تائها واو) كانت له عند
عمرو بن الزَّيَّان وكان سبب ذلك أن مالك بن كومة الشيباني لقي كُثَيْفَ بن عمرو في
بعض حروبهم وكان مالك نحيفا قليل اللحم وكان كُثَيْفَ ضَخْمًا فلما أراد مالك أسْرَ
كُثَيْفَ اقتحم [ص 378] كثيف عن فرسه لينزل إليه مالك فأوجرَه مالك السِّنَانِ وقال
: لتأسرَنَّ أو لأقتلنك فاحتقَّ فيه هو وعمرو بن الزَّيَّان وكلاهما أدركه فقالا : قد
حكمتنا كُثَيْفَا يا كثيف من أسرك ؟ فقال : لولا مالك بن كومة كنت في أهلي فلطمه عمرو
بن الزَّيَّان فغضب مالك وقال : تلام أسيري ؟ إن فداك يا كثيف مائة بعير وقد
جعلتُها لك بلاطمة عمرو وجَهَكَ وجَزَّ ناصيته وأطلقه فلم يزل كُثَيْفَ يطلب عمرا
باللَّطْمَةِ حتى دلَّ عليه رجل من عُفَيْلَةَ يقال له خو تعة وقد بدت لهم إبل فخرج
عمرو وإخوته في طلبها فأدركوها فذبحوا حوا را فاشتتووه وجلسوا يتغذون
فأتاهم كُثَيْفَ بضِعْفِ عددهم وأمرهم إذا جلسوا معهم على الغداء أن يكتنف كلَّ رجلٍ
منهم رجلان فمروا بهم مجتازين فدعوا فأجابهم فجلسوا كما ائتمروا فلما حَسَرَ كُثَيْفَ عن
وجهه العمامة عرفه عمرو فقال : ياكثيف إن في خدِّي وفاء من خدك وما في بكر بن وائل
خد أكرم منه فلا تشبَّ الحربَ بيننا وبينك فقال : كلا بل أقتلك وأقتل إخوتك قال :
فإن كنت فاعلا فأطلق هؤلاء الفتية الذين لم يتلبسوا بالحروب فإن وراءهم طالبا أطلب
مني يعني أباهم فقتلهم وجعل رؤوسهم في مخلاة وعلَّقها في عنق ناقة لهم يقال لها
الدُّهَيْمُ فجاءت الناقة والزَّيَّان جالسًا أمام بيته حتى بركت فقال : يا جارية هذه ناقة
عمرو وقد أبطأ هو وإخوته فقامت الجارية فجسَّت المخلاة فقالت : قد أصاب بئوك
بعض نعام فجاءت بها إليه وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ثم رؤوس إخوته
فغسلها ووضعها على ترسٍ وقال : آخر البزَّ على القلوص وقال أبو الندى :
معناه هذا آخر عهدي بهم لا أراهم بعده فأرسلها مثلا وضرب الناس بحمل الدُّهَيْمِ المثل
فقالوا : أثقل من حمل الدهيم فلما أصبح نادى : يا صيَّاحاه فأتاه قومه فقال :
والله لأحوِّلنَّ بيتي ثم لا أردُّه إلى حاله الأول حتى أدرك ثاري وأطفئ ناري فمكث
بذلك حينًا لا يدري من أصاب ولده ومن دلَّ عليهم حتى خبَّر بذلك فحلف لا يحرم

دم غُفَلَيٍّْ حتى يدلُّوه كما دلُّوا عليه فجعل يغزو بني غُفَيلة حتى أذْخَنَ فيهم
فبينما هو جالس عند ناره إذ سمع رُغَاءَ بغير فإذا رجل قد نزل عنه حتى أتاه فقال : من
أنت ؟ فقال : رجل من بني غُفَيلة فقال : أنت وقد آآن لك فأرسلها مثلا فقال : هذه خمسة
وأربعون بيتاً من بني تَغْلِبَ بالإقطانتين يعني موضعا بناحية الرقة فسار إليهم
الزَّبَّان [ص 379] ومعه مالك بن كومة قال مالك : فَذَعَسْتُ عَلَى فَرَسِي وَكَانَ ذَرِيعَا
فَتَقَدَّمَ بِي فَمَا شَعَرَ رَتُّهُ إِلَّا وَقَدْ كَرَعَ فِي مَقْرَاةِ الْقَوْمِ فَجَذِبْتَهُ فَمَشَى عَلَى عَقْبِيهِ فَسَمِعْتُ جَارِيَةَ
تَقُولُ : يَا أَبْتَ هَلْ تَمْشِي الْخَيْلَ عَلَى أَعْقَابِهَا ؟ فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا : وَمَا ذَاكَ يَا بِنِيَّةَ ؟ قَالَتْ :
رَأَيْتِ السَّاعَةَ فَرَسَا كَرَعَ فِي الْمَقْرَاةِ ثُمَّ رَجَعَ عَلَى عَقْبِيهِ فَقَالَ لَهَا : ارْجِعِي فَيَا أَبْتَ
الْجَارِيَةَ الْكَلْبُوءَ الْعَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَتَتْهُمُ الْخَيْلُ دَوَّاسٌ أَي يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا
فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا .

قوله " دَوَّاسٌ " كذا أورده حمزة في كتابه والصواب " دوائس " يقال : داستهم الخيلُ
بحَوِّافِهَا وَأَتَتْهُمُ الْخَيْلُ دَوَّائِسٌ أَي يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ النُّسخِ يَقَالُ :
دَسَّتِ الْخَيْلُ تَدَسُّ دَسًّا إِذَا تَبَعَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَأَنْشَدُ :
خَيْلًا تَدَسُّ إِلَيْهِمْ عَجَلًا ... وَبَذُرُوا رَحَائِلَهَا ذُؤُوبًا وَبَصَرًا .
أَي ذُؤُوبًا حَزَمَ